عـــزة

اضحك إن شئت فالأمر يحتمل الضحك ، واحزن إن شئت فالأمر يحتمل الحزن ، ولكن ثق بأنك ستضحك وحدك ، وستحزن وحدك على كل حال ، لأن الأمر الذى سأحدثك عنه قد أصبح لا يعنى أحدا ، أو لا يكاد يعنى أحدا من الناس ، إنما نكتب لنسجل ونحصى ، لا لنصلح ولا لنقوم . فقد أصبح الأمر لا يحتمل إصلاحا ولا تقويما . أتعرف فيم أريد أن أحدثك ؟ أتعرف مم أريد أن تضحك ! أتعرف علام تريد أن تحزن ؟

أريد أن أحدثك عن الجامعة والجامعيين ، وأريد أن تضحك مما صار إليه أمر الجامعة والجامعيين ، وأن تحزن لما انتهت إليه حال الجامعة والجامعيين . فمازال لنا معهد يسمى جامعة ، أنشىء بقانون ونظم بقوانين وصدرت هذه القوانين ، لا نقول منذ أعوام ، ولا منذ أشهر ، بل منذ أسابيع . وكنا نراها ضيقة وكنا نراها مرهقة ، وكنا نراها هادمة لاستقلال الجامعة ، فظهر الآن أنها واسعة مسرفة فى السعة ، وأنها حرة مسرفة فى الحرية ، وأنها مؤيدة لاستقلال الجامعة ، مسرفة فى تأييده ، وأنها لهذا كله أوسع مما ينبغى وأكثر مما يحتمل المصريون . لم تكد تصدر هذه القوانين حتى عهد وزير التقاليد ورئيس الجامعة الأعلى إلى قانونها الأساسى فهدمه هدما ، وأرغم كلية العلوم على عميد لم تنتخبه ، ولكن وزير التقاليد استطاع أن يرغمها على أن تنتخبه فأذعنت وأطاعت وصدعت بالأمر ، وشاركت الوزير فى مخالفة القانون .

ولم تمض على هذه القصة أسابيع حتى كانت النوبة على كلية الآداب ، فهى تكره هى الأخرى على مخالفة القانون الذى لم يصدر إلا منذ أسابيع فتذعن وتطيع وتشارك الوزير فى مخالفة القانون .

زعموا أن فى كلية الآداب كرسيا خاليا منذ أكثر من سنة حين نقل أستاذ من أساتذة الجامعة إلى وزارة المعارف فى قصة يذكرها الناس . وزعموا أن هذا الكرسى ليس هو الكرسى الوحيد الخالى فى كلية الآداب ، ولكن الحكومة حريصة كل الحرص على أن

كوكب الشرق فى ١٠ – ٧ – ١٩٣٣ .

تشغله لأمر ما ، فمن يدرى ؟ لعل الوزارة أن تستقيل ولعل وزارة أخرى أن تخلفها ولا يصح بحال من الأحوال أن يظل هذا الكرسى خاليا حتى يشغل وزارة المعارف وزير غير وزير التقاليد .

وزعموا أن جماعة من الأساتذة المساعدين فى كلية الآداب رشحتهم الكلية لبعض هذه الكراسى الخالية ، ومن بين هؤلاء الأساتذة أستاذ مساعد رشح لهذا الكرسى المعروف . وهذا الأستاذ المساعد فيما يقول الناس رجل كفء من غير شك ، يؤمن له بالكفاية والامتياز أهل العلم بالأدب العربى ، لا فى مصر وحدها ، ولا فى الشرق العربى وحده ، ولا فى الشرق الإسلامى وحده ، بل فى بيئات المستشرقين الأوروبيين عامة . وتستطيع أن تسأل عن هذه البيئات فى روما فسيجيبك نالينو ، وليفى دللفيدا ، وتستطيع أن تسأل هذه البيئات فى باريس فسيجيبك ماسينيون ومارسيه وتستطيع أن تسأل عنه هذه البيئات فى لندرة وكمبردج وأكسفورد فسيجيبك نبكلسن وجيب ومرجوليوث . وتستطيع أن تسألها فى المانيا فسيجيبك ليتمن وبرجشستراسر ، سيجيبك هؤلاء جميعا بأن هذا الأستاذ كفء حقا ، ممتاز ، وبأن الكلية قد وفقت كل التوفيق حين رشحته منذ عام لهذا الكرسى .

ولكن مجلس الجامعة لم يرد أن يقضى فى هذا الترشيح وفى ترشيحات أخرى فى العام الماضى لأسباب لعل الوقت لم يؤن بعد لتفصيلها . ثم عادت الكلية هذا العام فرشحت هذا الأستاذ وأصحابه مرة أخرى ، وكانت القوانين الجديدة قد صدرت وقضى مجلس الجامعة هذه المرة فى الترشيحات فكان حنبليا متشددا فى احترام القوانين ، رفض الترشيحات كلها ، لأن المرشحين لا يحملون درجة الدكتوراه ، والقانون يحتم ذلك ويلح فيه وأصبح من الحق على هؤلاء الأساتذة المساعدين أن يكتفوا بمناصبهم أو يظفروا بدرجة الدكتوراه إن كانوا يريدون أن يكونوا أساتذة ذوى كراسى . ولكن شيئا حدث منذ أيام ، فقد استكشف أولو الأمر فى وزارة المعارف والجامعة أن هذا الكرسى لايزال خاليا ، وسألوا الكلية عن هذا فأجابت الكلية بما أجابت ، ومضت أيام قليلة وإذا مجلس الكلية يدعى إلى الاجتماع فيجتمع أمس ويطول اجتماعه ويكون فيه حوار طويل ثقيل وينتهى الاجتماع بأن يرشح استاذا فى إحدى المدارس العليا ، ليس من الذين يحملون درجة الدكتوراه ، ولا لقب دكتور ، وكانت الفكرة أن يرشح هذا الأستاذ لشغل هذا الكرسى فأبى أعضاء الكلية وألحوا فى الإباء ، ولكن الحوار الطويل وتدبر العواقب والتفكير فى المستقبل انتهى بأعضاء المجلس إلى أن يقبلوا ترشيح الأستاذ لمنصب الأستاذ

المساعد وإن كان القانون الذى لم يجف حبره بعد لا يبيح هذا الترشيح لأنه اشترط درجة الدكتوراه فى الذين يرشحون لمنصب المدرس فضلا عن منصب الأستاذ ذى الكرسى .

وسيعرض هذا الترشيح – من غير شك – على مجلس الجامعة رغم الإجازة والصيف ، كما دعى مجلس الكلية رغم الإجازة والصيف وسيحضر اجتماع مجلس الجامعة عدد قليل جدا من الأعضاء كما حضر مجلس الكلية أمس خمسة أو ستة من الأعضاء ، لأن الناس فى هذه الأيام متفرقون . والله يعلم كيف يقضى مجلس الجامعة فى هذا الترشيح الذى اضطرت إليه كلية الآداب إلى أن تخالف فيه القانون ، كما خالفته الكلية أم يرده كما رد ترشيحات أخرى من قبل فيلقى على الكلية درسا فيه قسوة ولكن فيه عدلا ، ويعلم الكلية أن القوانين لا تصدر اليوم لتخالف غدا .

علم هذا كله عند الله ، ولكن الشيء الذى لا شك فيه والذى يضحك من أراد الضحك ، ويحزن من أراد الحزن ، ويجب تسجيله على كل حال هو أن كلية الآداب أريدت على مخالفة القانون فخالفته أيضا . وإذا كانت هذه حال الجامعيين فماذا تريد من عامة الناس ؟

أما وزير التقاليد فإنا نهنئه بسلطانه العريض ، ونتمنى له سفرا سعيدا ، وظفرا بطائفة من الأوسمة ، فهو معز العلم والعلماء ، وحامى الجامعة والجامعيين من غير شك .